



دراسة سوسيولوجية في رواية "الحرام" ليوسف إدريس بناءً على نظرية غولدمان

The Sociological Study of Yusuf Idris's Novel "Al-Haram" Based on Goldman's Theory

طالب ماجستير، علي رضا پريزن

جامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز (ايران)

al-perizan@stu.scu.ac.ir

الدكتور سيد أحمد موسوي پناه *

استاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز، ايران

s.ahmadmosawipناه@scu.ac.ir

ملخص:	معلومات المقال
يُعد التحليل السوسيولوجي للنص من المناهج الحديثة في نقد ودراسة الأعمال الأدبية، سواء كانت نثرًا أو شعرًا. ومن الواضح أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين العمل الأدبي والتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع. تجسد رواية "الحرام" ليوسف إدريس التناقضات الاجتماعية في المجتمع المصري، متناولة قضايا التفاوت الطبقي، والاستغلال الاقتصادي، والتمييز الجندري وقهر المرأة، الصراع بين الفرد والمجتمع، والصعوبات النفسية وفق المنظور السوسيولوجي لغولدمان. يعتمد البحث على المنهج الوصفي - التحليلي لدراسة انعكاس البنية الطبقية في الشخصيات والأحداث. تكشف النتائج عن فجوة عميقة بين الطبقات، حيث تعاني الفئات الفقيرة التهميش، بينما تستأثر الطبقات العليا بالمكاسب. كما تبرز الرواية القيود المفروضة على المرأة والصراع بين الفرد والمجتمع، مما يؤكد رؤية غولدمان بأن الأدب يعكس الواقع الاجتماعي وتناقضاته الداخلية.	تاريخ الارسال: 2025/03/10 تاريخ القبول: 2025/05/03
	الكلمات المفتاحية: ✓ الرواية ✓ السوسيولوجية ✓ نظرية غولدمان ✓ الحرام ✓ يوسف إدريس
Abstract :	Article info
sociological analysis of a text is one of the modern approaches in the critique and study of literary works, whether prose or poetry. There is a clear and strong connection between literary works and social, political, and cultural changes within society. Yusuf Idris's novel Al-Haram embodies the social contradictions in Egyptian society, addressing issues such as class disparity, economic exploitation, gender discrimination, the oppression of women, the conflict between the individual and society, and psychological struggles from Goldman's sociological perspective. This study employs a descriptive-analytical approach to examine how class structure is reflected in the characters and events. The findings reveal a profound gap between social classes, where	Received 10/03/2025 Accepted 03/05/2025
	Keywords: ✓ Novel ✓ Sociology ✓ Goldman's theory ✓ Al-haram

marginalized groups suffer from exclusion while the upper classes monopolize benefits. The novel also highlights the restrictions imposed on women and the individual's struggle against society, reinforcing Goldman's view that literature reflects social reality and its inherent contradictions.

✓ Yusuf Idris

1. مقدمة:

السوسيولوجيا أفقٌ نقديّ يكشف الروابط الخفية بين البنية الاجتماعية والعمل الأدبي، مبيّنةً كيف يتسرّب الواقع إلى المتن الإبداعي. ونظرية غولدمان تبرز هذا التفاعل من خلال الربط بين البنية الذهنية لجماعة اجتماعية والبنية العميقة للنص، مُظهرةً أن الأدب ليس معزولاً عن حركة المجتمع وتحوّلاته. ومن هذا المنطلق، تعد رواية الحرام ليوسف إدريس نموذجاً أدبياً يعكس البناء الاجتماعي لمجتمع الريف المصري في منتصف القرن العشرين، حيث تتشابك قضايا التفاوت الطبقي، وقهر المرأة، والعادات والتقاليد القمعية، والصراع بين الفرد والمجتمع وصعوبات النفسية. وبالنظر إلى هذه الأبعاد، تتيح دراسة الرواية من منظور سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان فهماً أعمق للعلاقة بين النص الأدبي والبنية الاجتماعية التي أنتجته، مما يجعل هذه الدراسة ضرورية للكشف عن الديناميكيات الاجتماعية والاقتصادية التي تحكم مصائر الشخصيات وتوجه مسارات الأحداث داخل الرواية. تنبع أهمية هذا البحث من قدرته على تسليط الضوء على البنية الاجتماعية التي تشكلت في رواية الحرام، حيث يعكس النص الروائي ملامح المجتمع المصري في فترة زمنية محددة من خلال تصويره لواقع الفئات المهمشة والمظلومة. كما تكتسب الدراسة أهميتها من خلال توظيف منهج لوسيان غولدمان في تحليل العلاقة بين الرواية والواقع الاجتماعي، مما يتيح فهماً أعمق للكيفية التي يعكس بها الأدب بني المجتمع وأزماته. إضافة إلى ذلك، يسهم البحث في إبراز دور الأدب في تشكيل الوعي الاجتماعي ونقد البنى الظالمة، مما يعزز من أهمية الدراسات السوسيولوجية في تحليل الأعمال الأدبية. يعتمد البحث على المنهج الوصفي - التحليلي، حيث يتم أولاً وصف الإطار النظري القائم على سوسيولوجيا الأدب وفق رؤية لوسيان غولدمان، ثم تحليل رواية الحرام من خلال هذا المنظور، مع التركيز على مظاهر التفاوت الطبقي، وقهر المرأة، والعادات والتقاليد القمعية، وصعوبات النفسية، والصراع بين الفرد والمجتمع. يهدف هذا التحليل إلى الكشف عن كيفية انعكاس الواقع الاجتماعي داخل الرواية، ومدى ارتباط الشخصيات وأحداث الرواية بالبنية الاجتماعية والاقتصادية التي أنتجتها. في هذا البحث سوف نحاول نجيب عن السؤالين التاليين:

1. ما هي أبرز المظاهر السوسيولوجية التي تعكسها رواية الحرام وفقاً لمنهج غولدمان الاجتماعي؟

2. كيف تظهر رواية الحرام ليوسف إدريس صعوبات الشخصية النفسية من خلال تفاعلها مع المحيط الاجتماعي وفقاً لنظرية غولدمان السوسيولوجية؟

خلفية البحث:

لم تحظ رواية الحرام ليوسف إدريس بدراسات سوسيولوجية معمقة، خاصةً تلك التي تتبنى نظرية غولدمان في تحليلها. وعلى الرغم من أهمية الرواية في الأدب العربي، فإن الدراسات التي تتناول هذا الموضوع بشكل منهجي وشامل ما تزال محدودة،

مما يجعل هذا البحث خطوة جديدة في تسليط الضوء على هذه الزاوية التحليلية. ومن بين البحوث والدراسات التي تناولت السوسيولوجية وأعمال يوسف إدريس:

- كتبت الباحثة حبيبة الشريف (2007م)، بحثاً بعنوان «البنوية التكوينية في النقد الأدبي رؤية لوسيان غولدمان»، نشر في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2. الباحثة في المقال تركز على كيف أن غولدمان جمع بين البنوية والفكر التكويني لفهم الأدب بشكل أفضل. تناقش كيف يرى غولدمان أن الأدب لا يتم في فراغ، بل هو منتج اجتماعي يعكس التوترات الاجتماعية والثقافية الموجودة في المجتمع. حصلت الباحثة على نتائج تظهر أن غولدمان اعتبر الأدب جزءاً من البنية الاجتماعية الأكبر وأنه يساهم في فهم التفاعلات البشرية من خلال النصوص الأدبية.

- هناك بحثاً للدكتور نعيم عموري وسكينة عبدالله خسرجي (2022م)، تحت عنوان «رواية سيدات زحل للطفية الدليمي دراسة سوسيولوجية وفق نظرية لوسيان غولدمان»، منشور في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 1. درس الباحثان في بحثهما "رواية سيدات زحل" من خلال نظرية لوسيان غولدمان كيفية تأثير الطبقات الاجتماعية والأيدولوجيات الجماعية في تشكيل الشخصيات الروائية. حصلاً على أن الرواية تعكس الصراعات الاجتماعية، حيث تمثل الشخصيات مواقف وأيدولوجيات مختلفة تتأثر بالمجتمع الذي تنتمي إليه، مما يعكس الواقع الاجتماعي والتفاعل بين الأفراد والبيئة المحيطة بهم.

- كتبت الباحثة جودة أحمد (2022م)، بحثاً تحت عنوان «الرؤية الاجتماعية في روايات يوسف إدريس (الحرام والعيب والعسكري)»، نشر هذا البحث من مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، العدد 1. درست الباحثة الرؤية الاجتماعية في روايات يوسف إدريس الحرام والعيب والعسكري، حيث تناولت القضايا الاجتماعية مثل الفقر، الطبقات الاجتماعية، والقيم التقليدية، وصراع الأفراد مع المجتمع. ركزت على تحليل الشخصيات وكيف تمثل هذه القضايا، ودراسة البنية السردية التي يستخدمها إدريس لنقل معاناة الأفراد. خلصت الباحثة إلى أن يوسف إدريس يعرض نقداً اجتماعياً عميقاً من خلال رواياته، موضحاً الصراعات الطبقيّة والفكرية في المجتمع المصري، وتوصلت إلى أن الأدوات الأدبية تلعب دوراً كبيراً في إيصال هذه القضايا بفعالية.

- رسالة ماجستير للباحثة مريم سجادي (1391هـ.ش) تحت عنوان «بررسی تطبیقی رئالیسم در رمان های آمریکایی و مصری، خوشه های خشم از جان اشتاین بک و الحرام از يوسف ادريس». الدراسة قامت بمقارنة أسلوب الكتابة، تصوير الطبقات الاجتماعية، وتسليط الضوء على التحديات الاقتصادية والسياسية التي يواجهها الأفراد في المجتمعين. نتائج البحث أظهرت أن كلا الروائين يعكسان صوراً واقعية لظروف مجتمعية معينة، مع تركيز مختلف على الفروق الثقافية بين المجتمعين الأمريكي والمصري.

- هناك رسالة ماجستير أخرى للباحثة ليلا اشرفي اهوازي (1400هـ.ش). تحت عنوان «ترجمه و نقد اجتماعی رمان الحرام قصه خاطئه مصريه». دارت الرسالة حول تحليل كيفية تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية في مصر على الشخصيات والأحداث في الرواية. الباحثة تناولت الترجمة بشكل خاص، مع التركيز على التحديات التي واجهها النص في عملية الترجمة من اللغة العربية إلى الفارسية. النتائج أظهرت أن الرواية تقدم صورة حية عن معاناة الأفراد في مجتمع مغلق وموغل في القسوة، وأكدت على أهمية الترجمة في نقل هذه الصور والأفكار بدقة، مع مراعاة التباينات الثقافية بين المجتمعين.

تتمثل خصوصية دراستنا في أنها تركز على تطبيق نظرية لوسيان غولدمان في تحليل الرواية الاجتماعية "الحرام" ليوسف إدريس، حيث تسعى لفهم التفاعلات الاجتماعية والتوترات التي تتجلى في النص الأدبي. وعلى الرغم من أن الدراسات السابقة قد تناولت الرواية من زوايا اجتماعية متعددة، سواء من خلال المقارنات بين الثقافات أو تحليل الطبقات الاجتماعية عبر أيديولوجيات الشخصيات، فإن دراستنا تميزت بتوظيف نظرية غولدمان بشكل مفصل لفهم الأدب كمنتج اجتماعي يعكس التوترات والصراعات داخل المجتمع. كما تتناول الدراسة كيفية تأثير البنية الاجتماعية على تفاعل الشخصيات مع الأحداث، مما يساهم في تقديم رؤية نقدية جديدة تسلط الضوء على البعد السوسيولوجي في الأدب.

2. السوسيولوجية عند لوسيان غولدمان:

لوسيان غولدمان كان فيلسوفًا وناقدًا أدبيًا ماركسيًا فرنسيًا من أصول رومانية، اشتهر بتحليله البنيوي الجدلي للأدب والفكر. ركّز في أعماله على العلاقة بين البنية الاجتماعية والإنتاج الثقافي، معتبرًا أن الأعمال الأدبية تعكس رؤية جماعية للعالم. من أبرز أفكاره مفهوم "الرؤية العالمية"، حيث رأى أن الإبداع الأدبي ليس فرديًا فقط، بل يعكس البنية الفكرية والاجتماعية لجماعات معينة. و «من أجل سوسيولوجيا للرواية 1964 وأحد مؤسسي السوسيولوجيا الحديثة للأدب، جمع في أعماله بين علم الاجتماع والنقد الأدبي وأعتبر الأثر الأدبي يتغير بتغير بنية البيئة أو الوسط الاجتماعي الأمر الذي جعل منه رائد من رواد النقد الجديد وحاول أن يكشف العلاقة بين الأثر وبنية فكر الكاتب والجماعة التي ترتبط بها إقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا إنطلاقا من مفهوم البنيوية التوليدية¹». علم اجتماع النص أو سوسيولوجيا «هو المنهج الذي يدرس المجتمع في النصوص الأدبية أو يقرأ المجتمع داخل النص أو بتغير آخر هو معرفة الطريقة التي يتفاعل بها النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة²». يرى غولدمان في منهجه أن هناك ترابطًا وثيقًا بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي، حيث يعكس الأدب تطورات المجتمع والأحداث التي يشهدها، مؤكدًا أن الأثر الأدبي ليس منفصلاً عن السياق الاجتماعي الذي نشأ فيه ويقول أن «كل سوسيولوجية للفكر تقبل بوجود تأثير للحياة الاجتماعية على الإبداع الأدبي³». سعى غولدمان، في إطار تأسيسه لنظرية الرواية، إلى إيجاد صلة بين البنية الاجتماعية والسمات الشكلية للرواية، مستندًا إلى مفهوم التناظر. وقد رأى أن هذا التناظر يظهر بين العلاقات السائدة في المجتمع الرأسمالي القائم على السوق وبين الطريقة التي يرتبط بها الأفراد بملكاتهم وبيئتهم الاجتماعية في حياتهم اليومية. يؤكد غولدمان «بأن الطبقات الاجتماعية هي التي تكوّن البنيات تحتية في الواقع (الرؤية إلى العالم أو العالم الخارجي) ويمكن للحد الأقصى من الوعي الممكن لطبقة اجتماعية ذات رؤية سيكولوجية منسجمة للعالم الخارجي أن تعبر عن المستوى البيئي والأدبي والفلسفي والفني

1- حجازي، سمير، 2007م، قضايا نقد الأدبي المعاصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ص 60.

2- بولكعبيات، نعيمة، 2010م، سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ص 56.

3- غولدمان، لوسيان، 1993م، مقدمات في السوسيولوجية الرواية، بيروت، دار الحور والتوزيع، ص 13.

للمظاهر والظواهر الطبيعية وغير الطبيعية في المحيط الذي يعيش فيه¹. يطرح غولدمان «في منظور مادي جدلي، أن الأدب والفلسفة من حيث أنهما يعبران عن رؤية للعالم في مستويين مختلفين فإن هذه الرواية ليست واقعية فردية، بل واقعة إجتماعية تنتمي إلى مجموعة أو إلى طبقة وتبعاً لبرهنته، فإن أي رؤية للمعالم من وجهة نظر متناسقة ووحدية حول مجموع واقع وفكر الأفراد الذي يندر أن يكون متناسقاً ووحيداً باستثناء بعض الحالات لا يتعلق الأمر هنا بوحدة ميتافيزيقية ومجردة، بدون جسم ولا شكل، بل يتعلق الأمر بنسق فكري يفرض نفسه في بعض الشروط على مجموعة من الناس توجد في شروط مشابهة، أي على بعض الطبقات الإجتماعية². وهكذا، يتضح أن غولدمان قد أسس منهجاً نقدياً يربط بين الأدب والمجتمع، حيث لا يمكن فهم العمل الأدبي بمعزل عن بنيته الاجتماعية والتاريخية.

3. المنهج الاجتماعي:

الأدب يعكس واقع المجتمع، والكاتب يتأثر ببيئته، فلا يمكن عزله عن المنظومة الاجتماعية التي نشأ ضمنها. وتُشير العديد من الدراسات إلى أن الفيلسوف الإيطالي جيامباتيستا فيكو كان من أوائل من وضع أسساً علمية لدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع. «تتضمن نظريته الفلسفية والحضارية المعروفة بنظرية الدورة التاريخية، والتي بلور فيها، فضلاً عن فكرة أن لكل حضارة دورة حياة كاملة، مفهوم نسبية الانجازات الإنسانية وتطوريتها في مجالات الفن والعلم والفكر، والذي ينبع من فهمه الواضح لدور الإنسان في خلق عالمه الاجتماعي وعلاقاته ومؤسساته ومن ثم فنونه الإبداعية، ومن ضرورة تحليل هذا كله بمصطلح علمي مادي وليس بمصطلح لاهوتي أو كنسي³». كان المنهج الاجتماعي يُدرّس ضمن إطار الدراسات السوسيو-ثقافية أو سوسيولوجيا الثقافة، التي تشمل كلاً من: «علم اجتماع الفن وعلم اجتماع الموسيقى، وعلم اجتماع الأدب⁴». يُعد علم اجتماع الأدب فرعاً يهتم بدراسة الأدب كظاهرة ثقافية واجتماعية. ومع ذلك، فإن هذا المصطلح «يشير إلى العديد من المناهج النظرية المتفرقة التي من المستحيل دمجها في تعريف واحد موحد ومتدرج⁵». ولهذا نجد عدداً كبيراً من الدراسات والنظريات والتعريفات، مما يسمح لنا بالقول إن «سوسيولوجيا الأدب ما زالت تركز على أفكار رئيسية وخطوط عريضة لم تلتئم في جسم متكامل الكيان، موحد المنهج محددة أهدافه ومعين موضوعه⁶». يعتبر علم الاجتماع «فرعاً من فروع علم الاجتماع العام ويهتم هذا التخصص بدراسة الظواهر الأدبية والفنية والاجتماعية في ضوء المقاربة السوسيولوجية ويعني هذا أن الأدب يعكس المجتمع أو هو بمثابة مؤسسة مجتمعية كباقي المؤسسات الأخرى، التي لها دور هام داخل النسق الاجتماعي⁷». وهكذا، يتبين أن الأدب ليس كياناً منفصلاً عن المجتمع، بل هو انعكاس للواقع الاجتماعي والثقافي الذي يتشكل فيه. فالمناهج السوسيولوجية في دراسة الأدب تسعى إلى فهم العلاقة الجدلية بين النصوص

4- علوش، سعيد، 2009م، الرواية والايديولوجيا في الأدب المعاصر، بيروت، دار المنهل اللبناني، ص 107.

5- غولدمان، لوسيان، وآخرون، 1986م، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ط2، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ص 48.

1- صبري، حافظ، 1981م، الأدب والمجتمع مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي، مجلة الفصول، المجلد 1، العدد 1، صص 65-77، ص 66.

2- هارلميس، وهولبورن، 2010م، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر، ص 9.

3- غولدمان، لوسيان، 2010م، الإله الخفي، دمشق، منشورات الهيئة السورية للكتاب، ص 8.

4- إسكارييت، روبير، 1993م، سوسيولوجيا الأدب، ط3، بيروت، عوידات للنشر والطباعة، ص 8.

5- حمداوي، جميل، 2015م، سوسيولوجيا الأدب والنقد، المغرب، مكتبة المعارف، ص 242.

والبيئة التي أنتجتها، مما يبرز أهمية السياق الاجتماعي في تحليل الظواهر الأدبية. ومن خلال هذا المنظور، يصبح الأدب وسيلة لفهم التحولات الفكرية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات عبر الزمن.

4. ملخص الرواية:

تبدأ الأحداث بالعنور على جثة طفل حديث الولادة تحت شجرة صفصاف بجانب ترعة في إحدى القرى. يكتشف الغفير عبد المطلب الجثة ويشعر بالارتباك، ويفكر في التخلص منها بإلقائها في الترعة، لكن أهل العزبة يتجمعون ويكتشف الأمر. بعد فحص الجثة، يتبين أن الطفل مات مخنوقاً. يصل الخبر إلى المأمور فكري أفندي، الذي يُصدم بالحادثة، خاصة أنها غير مألوفة في تلك المنطقة، ويبدأ بالتحقيق لمعرفة الأم القاتلة. يشبه فكري أفندي في أن الأم من بين "عمال التراحيل"، نظراً لاعتقاده أن أهل التفتيش لا يمكن أن يرتكبوا مثل هذه الجريمة. يبدأ البحث بين نساء التراحيل، وهم فئة تعاني من الفقر المدقع والاحتقار من قبل أهل القرية. تتوازي في الرواية حكايتان: الأولى عن "لدة"، ابنة باشكاتب العزبة مسيحة أفندي، التي تجاوزت سن الزواج وتورطت في علاقة غير مشروعة مع أحمد سلطان، موظف التفتيش، وهربت معه وتزوجا. الثانية عن "عزيزة"، امرأة فقيرة متزوجة من عبد الله، الذي أصيب بمرض البلهارسيا وأصبح غير قادر على العمل. تتحمل عزيزة مسؤولية إعالة الأسرة وتعمل بجِد لتوفير لقمة العيش. في أحد الأيام، يطلب زوجها المريض تناول البطاطا. تذهب عزيزة إلى حقل مزروع بالبطاطا بحثاً عن بقايا لتأخذها. يُفاجئها صاحب الأرض، وبعد حديث بينهما، يعتدي عليها. تحمل عزيزة نتيجة هذا الاعتداء، وتحاول إخفاء حملها والتخلص منه دون جدوى. تستمر في العمل مع عمال التراحيل حتى يحين موعد الولادة. تلد الطفل تحت شجرة الصفصاف وتحاول كتم صراخه بوضع يدها على فمه، لكنه يموت محتنقاً. تترك الجثة وتعود إلى حياتها، معتقدة أنها تخلصت من السر. مع مرور الوقت، تصاب عزيزة بحمى النفاس وتبدأ بالهذيان، مما يكشف سرها. يتعاطف معها فكري أفندي وأهل العزبة بعد معرفة قصتها، ويقدمون لها المساعدة، لكنها تموت بسبب المرض. يُرسل جثمانها إلى قريتها، وتستمر الحياة في العزبة كالمعتاد، مع تحسن طفيف في معاملة أهل التفتيش لعمال التراحيل في الموسم التالي. من خلال هذه الرواية، يبرز يوسف إدريس التناقضات الاجتماعية والظلم الذي يتعرض له الفقراء، مسلطاً الضوء على مفهوم "الحرام" الحقيقي، الذي لا يقتصر على الأفعال الفردية، بل يشمل الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يمارسه المجتمع على الفئات المهمشة.

5. الأطار التحليلي:

1,5 التفاوت الطبقي والاستغلال الاقتصادي:

يُعد التفاوت الطبقي والاستغلال الاقتصادي من القضايا المحورية في التحليل السوسيولوجي للأدب، حيث تعكس النصوص الأدبية هذه الظواهر الاجتماعية من خلال تصوير الشخصيات والظروف التي تعيشها. يرى بعض الباحثين المشكلات

الاقتصادية بأنها «عدم قدرة المجتمع على إشباع جميع احتياجاته البشرية من السلع والخدمات في ظل ندرة الموارد، ووسائل الإنتاج¹». التفاوت الطبقي والاستغلال الاقتصادي من أبرز القضايا التي تناولها يوسف إدريس في رواية الحرام، حيث يصور ببراعة الفجوة العميقة بين الطبقات الاجتماعية، مركزاً على معاناة الفئات المهمشة التي تعيش في ظروف قاسية نتيجة نظام اقتصادي غير عادل. يرسم الكاتب صورة واضحة للتفاوت الطبقي بقوله:

«والغرابوة ليسوا من قاطني التفتيش، ولا يمكن لأحد أن يتصور أنهم من قاطني التفتيش، إذ أليسوا هم أكثر الناس فقراً في بلادهم الذين يدفعهم الفقر إلى اللجوء إلى العمل في التفتيش البعيدة، وترك ثورهم وقراهم سعيًا وراء يومية لا تتعدى القروش القليلة؟ أليسوا هم ذوي الشمال البالية والرائحة الغريبة، والحلة الكريهة؟ لا يمكن لأحد أن يتصور أناساً كهؤلاء من قاطني التفتيش، فقاطنو التفتيش كلهم مزارعون محرمون، لكل منهم بيته وأولاده وبهائمهم وجلبابهم النظيف الجديد الذي يرتديه بعد انتهاء العمل²».

في هذا النص، نجد تمييزاً بين فئتين اجتماعيتين: الغرابوة وهم الفقراء الذين يضطرون للانتقال إلى العمل في التفتيش من أجل كسب قوتهم اليومي، وقاطنو التفتيش الذين يتمتعون بحياة أكثر استقراراً نسبياً. الفقراء يظهرون في النص كأشخاص يعيشون في ظروف قاسية، يتركون قراهم وأراضيهم بحثاً عن عمل في مناطق بعيدة، ويعيشون في بؤس شديد حيث لا تتعدى أجورهم القليلة القروش. بينما قاطنو التفتيش، الذين يبدو أنهم أكثر استقراراً، لديهم منازل وأراضي وأسر، ويظهرون بمظهر من يعيش حياة أفضل، مما يعكس الفرق الكبير بين الطبقات الاجتماعية. النص يقدم صورة واضحة عن الاستغلال الاقتصادي الذي يعاني منه العمال الفقراء، حيث يُجبرون على قبول ظروف العمل السيئة والأجور الزهيدة التي لا تكاد تلبي احتياجاتهم الأساسية. هذا الاستغلال يظهر من خلال تأكيد النص على أن هؤلاء العمال لا يملكون سوى أجور ضئيلة مقابل عملهم الشاق في أماكن بعيدة، الأمر الذي يجعلهم بعيدين عن تحقيق حياة مستقرة. من خلال ذلك، يمكننا ملاحظة كيف يعزز النظام الاقتصادي الطبقي الفوارق بين الأغنياء والفقراء، حيث يظل الفقراء في حالة تهميش دائم. الغرابوة يظهرون في النص كأشخاص لا ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أو العليا، بل يُنظر إليهم على أنهم غرباء، مما يعكس الموقف المجتمعي التمييزي تجاههم. هؤلاء الأشخاص يتم استبعادهم من الحصول على الحياة الكريمة والفرص المتاحة للآخرين. بالتالي، يمكننا أن نرى في هذا النص نقداً اجتماعياً واضحاً يعكس الظلم الطبقي والتفاوت الاجتماعي الذي يتم ترسيخه عبر هيكلية اقتصادية غير عادلة. يصف السارد معاناة عزيزة في الرواية بقوله:

«وظلت عزيزة بجواره. تحبز للجيران أحياناً، وتروي البهائم وتبيعهما، وترسح بالخطب إلى المركز وتعود بقرش أو بقرشين، وفي كل أسبوع أو عشرة أيام تحظى بيومية³».

في هذا المقطع، يظهر التفاوت الطبقي بشكل جلي، حيث نجد أن شخصية عزيزة تعمل بجهد في العديد من الأنشطة المعيشية المتواضعة والمرهقة، مثل الخبز للجيران، ورعاية البهائم، وبيعها، وجلب الخطب. هذه الأنشطة تمثل الجزء الأساسي

1- باي أحمد، عامر، والأشراف، جمال، 2020م، تحليل وتفسير المشكلة الاقتصادية في ضوء العقيدة الإسلامية، مجلة رؤى اقتصادية، المجلد 10، العدد 1، صص 213-232، ص 215.

2- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداي، ص 13.

3- إدريس، المصدر نفسه، ص 57.

من حياة الطبقات الفقيرة التي تعتمد على الأعمال اليومية لكسب رزقها. من خلال هذه الصورة، يمكننا ربط النص بنظرية غولدمان التي تؤكد على العلاقة بين النص الأدبي والبنية الاجتماعية، حيث يُظهر هذا المقطع الصراع بين الطبقات الاجتماعية وأثر النظام الاقتصادي على حياة الأفراد. عزيزة تمثل الطبقة العاملة، التي تعمل بيدها لتحقيق قوت يومها، حيث لا تتوفر لها فرص الاستقرار أو الرفاهية. إذ أنها تعتمد على "يومية" تكاد تكفي لتوفير الاحتياجات الأساسية، ما يعكس الوضع المادي المتدني للطبقات الفقيرة في المجتمع. إن حصولها على "قرش أو بقرشين" هو علامة على التفاوت الاقتصادي العميق، كما أن فكرة "كل أسبوع أو عشرة أيام تحظى بيومية" تظهر كيف أن حياة هؤلاء الناس مشروطة بفرص نادرة وغير مضمونة، وهذا يشير إلى استغلالهم في النظام الاقتصادي الذي يحد من قدرتهم على تحسين أوضاعهم. النص يكشف أيضاً كيف تُستغل الطبقات الفقيرة، حيث أن "تحظى بيومية" تأتي كنتيجة للجهود المضنية التي تبذلها عزيزة، مما يشير إلى أن الحياة التي يعيشها هؤلاء الأفراد تتسم بعدم الاستقرار والمحدودية.

2,5 قهر المرأة والتميز الجندري:

بالتفحص في عدد من معاجم اللغة، نلاحظ توافقاً ملحوظاً حول دلالة هذه المفردة. فقد قام ابن فارس بتوضيح معناها من خلال ربطها بجذرها اللغوي، موضحاً أن «القاف والهاء والراء كلمة تدل على غلبة وعلو وأقهر الرجل إذا صار في حال يُدَلَّ فيها¹». في رواية الحرام يظهر قهر المرأة بشكل صارخ حيث تعرض حياة مجموعة من الشخصيات الذين يعانون من الظلم الاجتماعي والاقتصادي. يعبر النص التالي عن معاناة المرأة بسبب قيود المجتمع الذي يحصر دورها في أدوار تقليدية ومحددة:

«يا أبو صفوت. أحياناً تحن إلى طفولتها الأولى في بيت أبيها الفلاح. أحياناً تتمنى لو كان في استطاعتها أن تفعل مثلما يفعل نساء الفلاحين وتستحم في التربة مثلاً أو تحبز بنفسها العيش وتخرج الرغيف مستديراً تام الاستدارة كما كانت تفعل في بيت أبيها²».

النص يعكس رغبة المرأة في العودة إلى طفولتها البسيطة في بيت والدها الفلاح، حيث كانت تتمتع بحريتها في أداء الأنشطة اليومية مثل الاستحمام في التربة أو خبز العيش، وهو ما يعكس فقدانها لهذه الحريات في حياتها الحالية. من خلال هذا النص، يظهر التهميش الاجتماعي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع التقليدي، حيث تُقيد حريتها بممارسات مجتمعية تحد من حقوقها الشخصية. وفقاً لنظرية غولدمان، التي ترى الأدب كمرآة للمجتمع، يمكن تفسير النص على أنه انعكاس للواقع الاجتماعي الذي يفرض قيوداً على الأفراد بناءً على الأعراف السائدة. غولدمان يؤكد أن الأدب ليس فقط تعبيراً فردياً عن المشاعر، بل هو تجسيد للأيديولوجيات الاجتماعية. يصف النص الروائي التالي معاناة عزيزة في موقف يعكس التمييز الجندري:

2- عبد الله علي، رياح، 2008م، مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، ص 9.
1- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ص 47.

«ورفعت عزيزة رأسها وعدلت ظهرها ومسحت عرقها وقالت له الحكاية، ورجته أن يسمح لها بمعاودة البحث، وقال محمد كلامًا كثيرًا عن الحفر وكيف يُضعف الأرض ويخفي طميتها ويؤور المحصول. غير أنها عادت ترجوه وتلحف في الرجاء حتى بكت¹».

يُبرز هذا المقطع من رواية الحرام ليوسف إدريس مظاهر قهر المرأة والتمييز الجندري بوضوح من خلال شخصية عزيزة، التي تُجسد المعاناة التي تواجهها النساء في المجتمعات الطبقية والذكورية. يظهر قهر المرأة بوضوح في اضطراب عزيزة إلى التوسل والبكاء حتى يسمح لها الرجل بالبحث مجددًا، وهو ما يعكس انعدام استقلاليتها وحقوقها في اتخاذ القرار. يُعاملها محمد بمنطق السلطة الأبوية، حيث يفرض رأيه حول الحفر وتأثيره على الأرض والمحصول، متجاهلاً رغبتها ومعاناتها، مما يدل على سيطرة الرجال على مصير النساء وحرمانهن من حق اتخاذ القرارات حتى في الأمور التي تخصهن بشكل مباشر. كذلك، يكشف النص عن التمييز الجندري، حيث يتم تصوير المرأة على أنها ضعيفة عاطفيًا وغير قادرة على تحقيق مطالبها إلا من خلال الاستعطاف والبكاء، بينما يحتكر الرجل القوة والقدرة على فرض قراراته دون مناقشة. بناءً على نظرية غولدمان السوسيولوجية، التي تؤكد أن الأدب يعكس البنية الاجتماعية والاقتصادية للصراع الطبقي والقيم السائدة، يمكن تحليل هذا المقطع بوصفه تمثيلًا للنظام الطبقي والتمييز القائم على النوع الاجتماعي.

3,5 العادات والتقاليد القمعية:

يعتبر «مصطلح عادة من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية والأنثولوجية ودراسات الحياة الشعبية، كما أن العادات تمارس وظائفها في مجالات متنوعة ومتعددة، بحيث تشمل العالم غير الإنساني وفوق الإنساني كما تشمل حياة الإنسان البيولوجية والاجتماعية على حد سواء²». رواية الحرام للكاتب يوسف إدريس تعكس بوضوح العادات والتقاليد القمعية التي تفرض قيودًا صارمة على حرية الفرد وتسهم في تهميشه ويشير السارد في هذا المقطع إلى تأثير العادات والتقاليد على تصرفات الشخصيات:

«ما إن عرف ما حدث، ورنّا إلى الجنين بعينه اليمنى حتى قال: ده مش ميت يا عبده ده مخنوق. واستنكر عبد المطلب هذا، ولكن الأسطى محمد ما لبث أن أقنعه وهو يشير إلى زرقة الجسد واحمرار ما حول الأنف والفم، طالبًا منه أن يُخلّص نفسه من المسؤولية ويُبلغ مأمور الزراعة؛ إذ هو الوحيد الذي يُمكنه التصرف في أمثال هذه الأمور. ويبدو أن عبد المطلب اقتنع، فما لبث أن مصمص بشفتيه، وقال: أيوه أحسن طريقة تبلغ المأمور³».

هذا النص من رواية يعكس مواقف دالة على القمع الاجتماعي الذي تفرضه العادات والتقاليد على الأفراد في المجتمع. يظهر عبد المطلب في البداية مترددًا في تصديق ما حدث للجنين، إذ كان يعتقد في البداية أن الجنين قد مات بطرق طبيعية، لكن الأسطى محمد يقنعه بأن الجنين قد تُوفي اختناقًا بناءً على ملاحظته لزرقة الجسد واحمرار الأنف والفم. بعد هذا التفسير، يتخذ عبد المطلب قرارًا مُرتبًا بناءً على ما يفرضه السياق الاجتماعي: الإبلاغ عن الحادث إلى "مأمور الزراعة".

2- إدريس، المصدر نفسه، ص 58.

3- محمد هاشم، هاشم، وجاللي، مريم، 2016م، العادات والتقاليد النوبية في رواية اللعب جبال النوبة، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 2، صص 1-24، ص 76.

1- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ص 10.

هذه الشخصية، التي تمثل السلطة، هي التي تملك القرار النهائي فيما يتعلق بالحدث، في غياب تام للقدرة الشخصية على اتخاذ القرارات. النص يعكس بوضوح الدور المحوري للسلطة التقليدية في المجتمعات القروية أو الريفية، حيث يُتوقع من الأفراد اتباع القوانين غير المكتوبة والتقاليد التي تفرض عليهم طريقة التفكير والتصرف. عبد المطلب لا يستطيع أن يتخذ قراره بشكل مستقل، بل يُجبر على الامتثال لما يراه الأسطى محمد من جهة، وما تفرضه الأعراف الاجتماعية من جهة أخرى. النص يعكس هذه الديناميكية الاجتماعية ويظهر كيف يمكن للأفراد أن يُسلبوا قدرتهم على الفعل المستقل نتيجة للضغوط الاجتماعية، وهو ما يتماشى مع تحليل غولدمان الذي يؤكد على أن الأدب هو وسيلة لفهم كيف يؤثر المجتمع على الأفراد. والنص الآتي يظهر كيف أن الضغوط الاجتماعية والتوقعات المجتمعية تفرض على الأفراد إطاراً ضيقاً للتفكير والعمل، ما يجعلهم يتعاملون مع المواقف بشكل غير منطقي ويتصرفون وفقاً للمعايير القمعية السائدة في المجتمع: «كان الخاطر لا معنى له؛ إذ من غير المعقول أن تحمل زوجته وتلد جنيناً كاملاً في نفس الليلة، ولكنه فكر فيه؛ فالإنسان وهو مرعوب قد يقف عقله ويهرب بجسده، أو قد يحدث العكس فيتسمر بجسمه في مكانه ويهرب بعقله، والعقل في جريانه المفزوع لا يتقيد بأي معقول¹».

النص يعكس صراعاً داخلياً وحالة من التشوش الذهني، حيث يواجه الشخصية الحدث الغريب والمفزع بتفسير غير منطقي نتيجة لتأثير التقاليد القمعية التي تؤثر على سلوك الشخص وأفكاره. العادات والتقاليد في المجتمع قد تفرض قيوداً صارمة على الأفراد، مما يعيق تفكيرهم بحرية ويجعلهم يتصرفون وفقاً لما هو متوقع اجتماعياً، حتى وإن كان ذلك يتعارض مع المنطق والعقل. الشخصية في النص تجد نفسها محاصرة في دائرة من التوقعات المجتمعية التي لا مفر منها، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان القدرة على التفكير العقلاني واتخاذ قرارات مستنيرة. في هذا السياق، يظهر تأثير التقاليد القمعية بشكل واضح، حيث يُجبر الفرد على تقبل أحداث غير منطقية والتفاعل معها بما يتماشى مع الضغوط الاجتماعية، مما يسبب له حالة من الارتباك النفسي. بناءً على نظرية غولدمان في السوسولوجيا، يمكن تحليل هذا النص باعتباره مثالاً على تأثير التقاليد القمعية في تشكيل الفكر والسلوك الفردي. غولدمان يرى أن التقاليد والقيم المجتمعية تؤثر بشكل عميق على العقل الفردي، حيث يتم تكييف الأفراد مع هذه القيم بشكل غير واعٍ، مما يحد من قدرتهم على التفكير النقدي والتصرف بحرية.

4,5 الصراع بين الفرد والمجتمع:

جاء في لسان العرب (مادة صرَع) مايلي: «الصَّرْعُ: الطُّرْحُ بالأرض، وخصّه في التذهيب بالإنسان، صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ، يَصْرَعُهُ صَرَعًا وَصِرْعًا، الفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب، فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى، والمصارعة والصِّراع: معالجتهمَا أيَّهما يصراع صاحبه²». لقد ارتبط ظهور مفهوم الصراع ارتباطاً وثيقاً مع «طبيعة العمل المسرحي منذ نشأته لدى الإغريق بالصراع بين الآلهة وبين البشر، أما في الأدب الأوروبي فقد أصبح الصراع مع ظواهر الكون وظواهر الحياة الاجتماعية في

2- إدريس، المصدر نفسه، ص 8.

1- خربيش، محمد، 2020م، الصراع اللغوي وأسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره، مجلة مقابسات في اللغة والأدب، المجلد 2، العدد 2، صص 171-185، ص 172.

مجالات الجنس والاقتصاد ونحوهما، لدرجة أنّ رسم الشخصية المتصارعة مع نفسها ومع الآخرين ومع الكون أصبح حقيقة لا مناص منها¹». في رواية الحرام يظهر الصراع بين الفرد والمجتمع بوضوح من خلال شخصية عزيزة التي تواجه ضغطاً اجتماعياً بسبب ظروفها القاسية. وفي النص الآتي يطرح السارد في رواية الحرام صراعاً بين الفرد والمجتمع من خلال شخصية عزيزة، حيث يصف المجتمع حكمه القاسي عليها عندما يكتشف أنها أم اللقيط المقتول:

«ثم انتهى إلى أن عزيزة هي أم اللقيط المقتول، وأنهم حين عرفوا هذا تسوّروا عليها، فهي وليّة وكلنا لنا ولايانا، وحين أصابتها الحمّى رأوا أن يرقدوها في الغيط تحت ظليلة لكي يستمر أجراها سارياً، فهي غلبانة آخر غلب، وتنفق على زوجها المريض وأولادها الثلاثة منه. كان المأمور يستمع إليه وعلى وجهه نفس صرامته الأولى، ولكنه قرب النهاية. بدأ وجهه ينفرج قليلاً قليلاً، ثم بدأت الدهشة ترتسم عليه وتأخذ مكان الصرامة، المذهل في الموضوع أنها كانت متزوجة، فلماذا تقتل ابنها وهي متزوجة؟»².

في النص، يظهر بوضوح الصراع بين الفرد والمجتمع من خلال شخصية عزيزة، التي تعيش في ظروف قاسية. عزيزة امرأة فقيرة، متزوجة ولديها أطفال، وهي تحاول التوفيق بين مسؤولياتها العائلية وظروفها الصعبة. بينما المجتمع يتوقع منها سلوكاً يتناسب مع معايير أخلاقية واجتماعية معينة، تجد عزيزة نفسها في موقف يعجز فيه المجتمع عن تفهم واقعها. عندما يُكتشف أن عزيزة هي أم اللقيط المقتول، يظهر المجتمع في موقف القاضي الذي ينظر إليها من خلال معيار واحد: المعايير الأخلاقية التي تتوقع من الأم أن تكون الحامية لأطفالها. المجتمع لا يعترف بالظروف الصعبة التي قد تجعل عزيزة تتخذ قرارات قاسية، بل يركّز على حكمه الأخلاقي الضيق. حتى المأمور الذي يستمع إلى القصة، وعلى الرغم من صرامته في البداية، تظهر عليه علامات الدهشة عندما يعلم أن عزيزة كانت متزوجة، فيطرح السؤال: "لماذا تقتل ابنها وهي متزوجة؟" هذا السؤال يعكس الصراع الأخلاقي بين ما يفرضه المجتمع من معايير، وبين ما كان يمكن أن يكون السبب وراء تصرفاتها في ظل الظروف التي تعيشها. النص يعكس تفاعلاً معقداً بين الفرد والمجتمع، حيث يواجه الفرد ضغوطاً اجتماعية لا تضع في اعتبارها حالته الخاصة، بل تركز على معايير ثقافية وأخلاقية ثابتة. هذا يعكس كيف يمكن أن يُنظر إلى الأفعال بشكل قاسي من قبل المجتمع دون تفهم للسياق الذي يتم فيه اتخاذ القرارات. في هذا السياق، يمكن ربط النص بنظرية غولدمن في سوسيولوجيا الثقافة. غولدمن يركز على كيف أن الثقافة تؤثر في تشكيل تصورات المجتمع للأفراد، وتحدد المعايير التي يتم الحكم عليهم من خلالها. وفقاً لهذه النظرية، يُنظر إلى الأفراد من خلال معايير ثقافية وأخلاقية قد تكون بعيدة عن فهم واقع حياتهم. في حالة عزيزة، يواجه الفرد حكماً اجتماعياً قاسياً على أساس هذه المعايير، بينما تُغفل الظروف الشخصية التي قد تفسر تصرفاتها. في النص التالي يصف السارد حالة من الصراع بين الفرد والمجتمع من خلال تصرفات عزيزة، التي تجسد التوتر الداخلي والخارجي في مواجهة نظرة المجتمع لها:

«وبين دهشة الملتفين حولها وذهولهم جلست عزيزة القرفصاء على حافة الخليج وكأنها تتهياً للولادة، وانطلقت من فمها صرخات متواليات وكأن الطلق اشتد عليها، ثم عسعست بيدها حتى عثرت على عود الصفصاف الذي احترق نفسه

2- تيموري، محسن، ومعصومي، محمد حسن، 1395ش، صراع البطل في القصة القرآنية شخصية النبي موسى (ع) أنموذجاً، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، المجلد 19، العدد 1، صص 171-185، ص 6.

3- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداوي، صص 53-54.

والذي كان لا يزال في مكانه من الحافة، وأطبقت عليه أسنانها، واتخذت هيئتها طابعا جنونيا مدعورا وهي تضغط على العود وتنشأ أسنانها فيه¹.

في هذا المقطع يظهر بوضوح الصراع بين الفرد والمجتمع من خلال تصرفات عزيزة التي تعكس حالة من التوتر الداخلي والخارجي. عزيزة، في هذه اللحظة، تظهر في حالة من الجنون والذعر، حيث تجلس "القفصاء" على حافة الخليج وكأنها تنهيها للولادة، وتنطلق منها صرخات متوالية. هذه الصورة الرمزية تعكس معاناتها الشخصية من جهة، ومن جهة أخرى، تفاعلها مع محيطها الاجتماعي الذي يراقبها بدهشة وذهول. المجتمع في هذا السياق لا يفهم تصرفاتها، حيث تعتبر سلوكياتها غريبة ومفاجئة بالنسبة له، وبالتالي ينشأ صراع بين رغبات عزيزة الداخلية وبين نظرة المجتمع التي قد تُعتبر قاسية وغير متفهمة. الدهشة التي يشعر بها الملتفون حولها تظهر كيف أن المجتمع يضع معايير ثابتة لسلوك الفرد ويقيمه بناءً عليها. أي تصرف غير مألوف أو خارج عن المألوف يُنظر إليه على أنه تهديد أو خطأ يجب تصحيحه. في هذه الحالة، يصبح الفرد (عزيزة) ضحية لضغوط المجتمع، الذي لا يأخذ في اعتباره الظروف الصعبة التي تعيشها، بل يحكم عليها بناءً على سلوكها الظاهر فقط. من خلال ربط هذا النص بنظرية غولدمان في سوسيولوجيا الثقافة، نجد أن المجتمع يساهم في تشكيل الأفراد وتوجيه سلوكهم وفقاً للمعايير الثقافية التي يحددها. غولدمان يرى أن الفرد غالباً ما يتفاعل مع هذه المعايير، لكنه في بعض الحالات قد ينحرف عنها بسبب الظروف التي يواجهها، كما هو الحال مع عزيزة. نظرية غولدمان تؤكد على أن الثقافة تفرض قواعد معينة وتحدد كيف يُفترض أن يتصرف الأفراد، لكن في بعض الأحيان يكون هناك تناقض بين هذه القواعد وواقع حياة الأفراد، مما يؤدي إلى صراع داخلي وخارجي.

5,5 الصعوبات النفسية:

اختلف آراء العلماء والباحثين في تحديد مفهوم المشكلات الاجتماعية، حيث قام المنصوري بتعريفها بـ «صعوبات وانحرافات سلوكية ترتبط بعلاقات الشاب بأفراد وقيم وعادات وتقاليده وقوانين وتوقعات مجتمعه»². من جهة أخرى، قدم الخريشا تعريفاً لها بـ «عدم قدرة الفرد على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة ومستمرة تقوم على أساس الثقة بالنفس والتسامح والتعاون وتبادل الاحترام»³. تتنوع العوامل التي تساهم في نشوء المشكلات الاجتماعية، ومن أبرز هذه العوامل: «الهجرة الخارجية من بلد إلى بلد آخر، صعوبة تكيف الفرد في مواجهة متطلبات المتغيرات الاجتماعية، عدم مساهمة النظم الاجتماعية مع تطورات المجتمع الحديث والحروب، وتفكك هيكل التنظيم الاجتماعي»⁴. رواية "الحرام" ليوسف إدريس تعكس بشكل واضح الصعوبات النفسية التي يواجهها الشخصيات نتيجة للتغيير والفسل. يعاني الأفراد فيها من صراعات

1- إدريس، المصدر نفسه، ص 87.

2- المنصوري، خالد أحمد عثمان، 2008م، المشكلات النفسية والاجتماعية الأكثر شيوعاً وبعض السمات الشخصية لدى عينة من طلبة كلية المعلمين بجامعة الطائف، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، ص 20.

1- الخريشا، ملوح باجي، 2009م، المشكلات الأكاديمية والاجتماعية والنفسية التي تواجه طلبة كلية العلوم التربوية بجامعة مؤتة في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، المجلد 4، العدد 33، صص 473-527، ص 478.

2- عمر، معن، والعاني، عبد اللطيف، 1991م، المشكلات الاجتماعية، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، صص 39-40.

داخلية تؤثر على هويتهم وأفعالهم. يمثل السارد في النص الآتي من الرواية معاناة شخصية عزيزة نفسياً، حيث يصفها بأنها تحمل آلاماً شديدة وتخفيها على الآخرين:

«كان الحزام يخفي بطنها إلى حد كبير، وكانت تترك عب جلبابها الأسود الواسع مهدلاً فوق الحزام الخارجي، وحين تمشي وحين تقف وحين تنام وحين تتحدث كانت تراعي دائماً أن تفعل هذا بطريقة لا تدع مجالاً للشك فيها، وكان هذا يؤلمها أشد الألم، وكانت تتحمل أشد الشدائد حتى دون أن يكون لها الحق في الشكوى، والشكوى أحياناً تذهب بالألم¹».

الصعوبات النفسية في هذا النص تتجسد في إحساس الشخصية بالضغط الدائم من أجل التكيف مع واقعها المرهق. الحزام الذي يخفي بطنها هو تمثيل رمزي للقمع الذي تشعر به، سواء كان اجتماعياً أو داخلياً. الشخصية محاصرة بين الألم الجسدي والنفسي، فهي تتحمل هذه المعاناة في صمت، مما يضاعف من الصعوبات النفسية التي تمر بها. ومع ذلك، فإن الشخصيات التي لا تستطيع التعبير عن مشاعرها أو طلب الدعم الاجتماعي تتحمل ضغوطاً نفسية شديدة، كما في هذه الحالة، حيث يبدو أن الشكوى قد تعتبر خيانة لنظامها الاجتماعي أو ضغوطها الذاتية. ونجد أن الشخصية في النص تعاني من صعوبات نفسية بسبب التوتر الناتج عن الصراع بين الذات والمجتمع، وهو ما يتماشى مع مفاهيم غولدمن حول تأثير التفاعلات الاجتماعية على سلوك الفرد وصحته النفسية. يصف الأديب في النص التالي حالة عزيزة النفسية من خلال تذبذبها بين النسيان والذكرى، مما يعكس الصراع الداخلي المستمر بسبب معاناتها الجسدية والنفسية:

«واشتغلت عزيزة ونسيت كل شيء في غمرة الشغل نفسها وعبد الله والبلد، ولكنها أحياناً كانت تذكر بطنها وما فيه وما حوله من أحزمة. وأحياناً تنسى، والنسيان والذكرى لا تكونان سوى جزء ضئيل من الأشياء التي تتعاقب عليها، تعاقب الشمس حين تشرق وظهرها مخني فوق العيدان²».

في هذا النص، يصور السارد حالة شخصية عزيزة النفسية من خلال تفاعلها مع العمل والمحيط الاجتماعي الذي يحيط بها. رغم انغماسها في العمل واهتمامها بالآخرين، فإنها لا تستطيع أن تتجاهل معاناتها الجسدية والنفسية، التي تتمثل في بطنها وما حوله من أحزمة. تظهر حالة عزيزة في هذا النص تذبذباً بين النسيان والذكرى، وهو ما يعكس التوتر النفسي الذي تعيشه. فبينما تسعى للاحتلال بذهنها بأشياء أخرى، إلا أن ذكريات معاناتها تعود لتطل من حين لآخر، مثل الشمس التي تشرق كل يوم، وهو تعبير عن الاستمرار في مواجهة الصراع الداخلي رغم محاولات التهرب. النص يعكس بوضوح الصعوبات النفسية التي تواجهها عزيزة، إذ أن تذكرها لما تعانيه يبرز التوتر الداخلي الذي يعصف بها، بينما النسيان لا يعدو أن يكون محاولة لتخفيف هذا الألم. تشير الفكرة عن "النسيان والذكرى" إلى التناوب بين الوعي بالمعاناة وحلم التهرب منها، وهو ما يعبر عن حالة نفسية مضطربة، حيث تجد الشخصية نفسها في حالة من المقاومة المستمرة ضد شعورها بالألم الداخلي. النسيان لا يمكن أن يكون حلاً دائماً، كما أن الذكرى تأتي لتقوض محاولات الهروب من الواقع المرير. بناءً على نظرية سوسيولوجيا غولدمن، يمكن تحليل هذا النص من خلال منظور التفاعل الاجتماعي وأثره على الفرد. يتأثر سلوك عزيزة وتفاعلاتها مع محيطها الاجتماعي بشكل عميق بسبب تجاربها الشخصية مع الألم الجسدي والنفسي. تحاول عزيزة أن

3- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ص 60.

4- إدريس، المصدر نفسه، ص 61.

تندمج في نشاطاتها اليومية، لكنها لا تستطيع الهروب تمامًا من تأثير البيئة الاجتماعية على تصوراتها الذاتية. التذبذب بين النسيان والذكرى يشير إلى أن الأفراد في تفاعلهم المستمر مع محيطهم الاجتماعي لا يستطيعون التفرغ تمامًا لما يمرون به داخليًا. إن محاولات النسيان ليست كافية أمام ثقل تجارب الماضي، وهو ما يربط التحليل بحقيقة أن التفاعلات الاجتماعية والشروط الثقافية قد تفرض أحيانًا على الفرد واقعًا نفسيًا معقدًا يصعب تجاوزه بسهولة. من خلال هذا التحليل، يظهر الصراع الداخلي في النص وكأنه نتيجة مباشرة للتأثيرات الاجتماعية على الشخصية، وهو ما يتماشى مع مفاهيم غولدمان حول كيفية تشكيل التفاعلات الاجتماعية للهوية الفردية والضغط النفسي.

6. خاتمة:

توصلنا من خلال دراستنا لموضوع دراسة سوسيولوجية في رواية الحرام ليوسف إدريس بناءً على نظرية غولدمان إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- رواية الحرام تعكس عدة مظاهر سوسيولوجية وفقًا لمنهج غولدمان الاجتماعي، أبرزها التفاوت الطبقي والاستغلال الاقتصادي الذي يظهر في استغلال الفلاحين والعمال الزراعيين من قبل الإقطاعيين، وقهر المرأة والتمييز الجندي الذي يتجلى في اضطهاد البطلة عزيزة داخل مجتمع ذكوري صارم. كما تسلط الرواية الضوء على العادات والتقاليد القمعية التي تتحكم في مصائر الشخصيات وتمنعهم من تحقيق أي تغيير اجتماعي حقيقي، إضافة إلى الصراع بين الفرد والمجتمع حيث تحاول الشخصيات مواجهة القيود الاجتماعية لكنها تجد نفسها عاجزة أمام التقاليد الراسخة. تعكس الرواية وعي الطبقة المسحوقة وتعبير عن أزماتها البنيوية، مما يجعلها نموذجًا أدبيًا للتحليل وفق منهج غولدمان.
- تُظهر رواية الحرام ليوسف إدريس من خلال شخصية عزيزة الصعوبات النفسية التي تنشأ نتيجة للتفاعل بين الذات والضغط الاجتماعي، حيث يعكس النص صراع الشخصية بين النسيان والذكرى، مما يبرز التأثير الكبير للبيئة الاجتماعية في تشكيل الهوية النفسية والفردية وفقًا لنظرية غولدمان.
- كشفت الرواية عن التفاوت الطبقي في المجتمع المصري، حيث يظهر بوضوح تباين الظروف المعيشية بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا. هذا التفاوت ليس مجرد خلفية اجتماعية، بل يُعتبر عاملاً مهماً يؤثر في تشكيل الشخصيات وتوجيه مسارات حياتهم. وفقًا لنظرية غولدمان، يمكن تفسير هذا التفاوت باعتباره تجسيدًا للتوترات الاجتماعية التي تحدد سلوك الأفراد في النص.
- تسلط الرواية الضوء على الاستغلال الاقتصادي، حيث تعاني الشخصيات الفقيرة في ظل ظروف عمل قاسية وتجاهل من الطبقات العليا لاحتياجاتهم الإنسانية. هذا الاستغلال يتجسد في علاقات العمل وفي ممارسات العنف الرمزي، مما يعكس الصراع الطبقي في المجتمع المصري، وهو ما يتماشى مع مفاهيم غولدمان حول تأثير الهيكل الاجتماعي على الشخصيات.

- تناولت الرواية قضية قهر المرأة كأحد أبرز التحديات الاجتماعية، حيث أظهرت كيف تُجبر الشخصيات النسائية، مثل عزيزة، على الخضوع للقيود الاجتماعية والعادات التي تحد من حرية خياراتهن. وهذا ينسجم مع رؤية غولدمان حول تأثير التوترات الاجتماعية على تطور الشخصيات وأفعالهم.
- تمثل الرواية صراعاً بين طموحات الأفراد وضغوط المجتمع، حيث يظهر كيف يُجبر الشخص على التنازل عن بعض من تطلعاته لتحقيق التوافق مع النظام الاجتماعي. وهذا يتماشى مع فكرة غولدمان بأن الرواية تعكس التوترات الاجتماعية التي تحدد مصير الأفراد وتوجهاتهم.
- بناءً على نظرية غولدمان، لا تُعبر رواية "الحرام" فقط عن مشاعر الأفراد، بل عن التوترات الطبقية والاجتماعية التي تشكل هذه الشخصيات. الشخصيات في الرواية ليست كيانات فردية بمعزل عن السياق الاجتماعي، بل هي نتاج تفاعلات طبقية وثقافية تحدد مصيرهم وتصرفاتهم.

7. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- إدريس، يوسف، 1959م، الحرام، القاهرة، مؤسسة هنداوي.
- إسكارييت، روبير، 1993م، سوسيولوجيا الأدب، مترجم: آمال أنطوان عرموني، ط3، بيروت، عويدات للنشر والطباعة.
- حجازي، سمير، 2007م، قضايا نقد الأدبي المعاصر، القاهرة، دار الآفاق العربية.
- حمداوي جميل، 2015م، سوسيولوجيا الأدب والنقد، المغرب، مكتبة المعارف.
- علوش، سعيد، 2009م، الرواية والايديولوجيا في الأدب المعاصر، بيروت، دار المنهل اللبناني.
- عمر، معن، والعياني، عبد اللطيف، 1991م، المشكلات الاجتماعية، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- غولدمان، لوسيان، 1993م، مقدمات في السوسيولوجية الرواية، مترجم: بدر الدين عروديكي، بيروت، دار الحور والتوزيع.
- _____، 2010م، الإله الخفي، مترجم: زبيدة القاضي، دمشق، منشورات الهيئة السورية للكتاب.
- غولدمان، لوسيان، وآخرون، 1986م، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ط2، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
- هارلمبس، وهولبورن، 2010م، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، مترجم: حاتم حميد محسن، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر.
- الأطروحات:
- بولكعبيات، نعيمة، 2010م، سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

- عبد الله علي، رياح، 2008م، مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا.
- المنصوري، خالد أحمد عثمان، 2008م، المشكلات النفسية والاجتماعية الأكثر شيوعاً وبعض السمات الشخصية لدى عينة من طلبة كلية المعلمين بجامعة الطائف، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.
- المقالات:
- باي أحمد، عامر، والأشراف، جمال، 2020م، تحليل وتفسير المشكلة الاقتصادية في ضوء العقيدة الإسلامية، مجلة رؤى اقتصادية، المجلد 10، العدد 1، صص 213-232.
- تيموري، محسن، ومعصومي، محمد حسن، 1395ش، صراع البطل في القصة القرآنية شخصية النبي موسى (ع) أنموذجاً، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، المجلد 19، العدد 1، صص 171-185.
- خريش، محمد، 2020م، الصراع اللغوي أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره، مجلة مقابسات في اللغة والأدب، المجلد 2، العدد 2، صص 171-185.
- الخريشا، ملوح باجي، 2009م، المشكلات الأكاديمية والاجتماعية والنفسية التي تواجه طلبة كلية العلوم التربوية بجامعة مؤتة في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، المجلد 4، العدد 33، صص 473-527.
- صبري، حافظ، 1981م، الأدب والمجتمع مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي، مجلة الفصول، المجلد 1، العدد 1، صص 65-77.
- محمد هاشم، هاشم، وجلالي، مريم، 2016م، العادات والتقاليد النوبية في رواية اللعب جبال النوبة، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 2، صص 1-24.